السلطان عبد الحميد خان الثاني واليهود

مسرحية

تأليف المفكر والأديب التركي الكبير
الأستاذ نجيب فاضل قيصه كورك

ترجمة
يوسف يحيى

مؤسسة الرسالة

السلطان عبد الحميد خان الثاني واليهود

مسرحية

الطبعة الأولى

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م



مؤسسة الرسالة   بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران

السلطان عبد الحميد خان الثاني واليهود

مسرحية

تأليف

المفكر والأديب التركي الكبير

الأستاذ نجيب فاضل قيصه كورك

ترجمة

يوسف محلي

مؤسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

شخصيات رئيسية :ـ السلطان عبد الحميد
- اليهودي العثماني
- شيخ الاسلام
- المرافق
- رئيس قصر الحرم (الحرملك)
- رئيس المراسم (قصر الضيافة والاستقبال)
- الجاويش

شخصيات ثانوية :ـ يهود أوروبيون ٢
- سفراء ٤
- مساعدون ٢
- عسكر ٢
- ذوو العمائم ٢

المشهد الأول

الفصل الأول

(الستارة التي تفصل داخل القصر عن صالون القصر ، من اليمين ومن اليسار نافذتان ، تطلان على حديقة قصر يلدز الفخمة . . لوحتان . .)

(السلطان عبد الحميد يجلس على كرسيه السلطاني بوقار ، يرتدي سترة سوداء بسيطة وبنطالاً ، وعلى رأسه طربوش أحمر ، وله ربطة عنق سوداء . .)

(في الكرسي الذي على يمينه يجلس يهودي عثماني ، وعلى الكرسيين اللذين في يساره يجلس يهوديان آخران ، اليهودي العثماني ممتلىء ، حليق الذقن وله شاربان . . أما اليهوديان الآخران : فالأول له لحية كثيفة قصيرة ، أما الثاني فذو لحية سوداء طويلة ، جميعهم حاسرو الرأس) .

عبد الحميد : (مخاطبا اليهودي العثماني « بوقاره المعهود» وكلمة . . كلمة) وماذا أيضا ؟ وما نوع المساعدات الأخرى التي يفكر في تقديمها

زملاؤك (وهو ينظر الى اليهوديين الآخرين) ؟ ![1]

اليهودي العثماني : تسديد جميع الديون العامة يا مولانا . .

عبد الحميد : لقد سددت جميع الديون من أملاكي الخاصة ، ولم يبق الا الشيء القليل ![2].

اليهودي العثماني : ليكن مثل ذلك المبلغ هدية الى خزينة الدولة .

عبد الحميد : ماذا تقصدون بكلمة الدولة ؟ !

اليهودي العثماني : شخصكم الموقر ، يا مولانا !

عبد الحميد : (مبتسما)هل تشبهونني بالملك الفرنسي الذي قال : « أنا الدولة » ؟ !

اليهودي العثماني : أستغفر الله ! معذرة يا مولانا . .

عبد الحميد : ما أنا الا أدنى فرد في هذه الأمة المسلمة ، يحمل هموم الأمة جميعها على كتفه ، فالدولة دولة المسلمين جميعا .

---

(١) تولى السلطان عبد الحميد الخلافة في وقت كانت الديون المترتبة على الدولة تبلغ / ٢٥٢٨٠١٠٨٨٥/ ليرة عثمانية ثم انخفضت الى / ١٠٦٤٣٧٢٣٤/ ليرة عثمانية ، بعدما تقرر تشكيل ادارة الديون العامة ص ١١ ـ ١٢ (المذكرات السياسية) .

(٢) جملة القول إن ثورة السلطان يمكن أن تكون سندا للدولة عند الملمات ص ٩٨ (مذكرات عبد الحميد السياسية) ـ يتهمني أعدائي بجمع ثروة طائلة ، والحقيقة أنني جمعت مبلغا كبيرا بفضل الاستثمار الجيد فإذا احتاجت خزينة الدولة ـ كما حدث أيام الحرب مع اليونان ـ سحبت هذه الأموال من الخارج ودعمت بها الخزينة ص٢١٧ـ ٢١٨(مذكرات عبد الحميد السياسية)«المترجم».

اليهودي العثماني : جميل جدا ما تفضلتم به يا مولانا ، ونحن نريـــد أن نكـــون مواطنين صالحين في دولة المسلمين كما تعلمون ـ يا مولانا ـ فإن اليهود العثمانيين قد ظلوا أوفياء للدولة العثمانية منذ ثلاثمائة سنة .

عبد الحميد : (باستهزاء خفيف) نعم معلوم !

اليهودي العثماني : (وكأنه لم يفهم ما يقوله عبد الحميد) إن جدكم العظيم ـ يا مولانا ـ السلطان سليمان قد فتح أبواب دولته أمام اليهود المهجّرين من اسبانية وأوربة ، وآواهم ، وشملهم برعايته ولطفه ، ومن يومها وجد اليهود الرعاية التي حرموا منها منذ أكثر من / ١٥٠٠/ عاما .

عبد الحميد : إن جدي السلطان سليمان القانوني ، سمح لليهود أن يصلوا الى قصره ، حتى انه زوج أحد أبنائه من فتاة يهودية وغض الطرف عن انتقال الأمور التجاريـــة والماليـــة للدولة الى أيدي اليهود !

اليهودي العثماني : نعم . . . نعم . . . يا مولانا !

عبد الحميد : وهل أفعل الآن مثل ما فعله جدي من قبل ؟ وهل سبب مجيئكم من أجل هذا ؟؟

اليهودي العثماني : كلا ـ يا مولانا ـ الجو العام والظرف الذي

نحن فيــه غير مساعد لمثل هذا الاحسان ، ولكن نحن نريد من مولانا السلطان أن يتكرم علينا باعطائنا قطعة أرض كمزرعة كبيرة في أرض فلسطين لإنشاء وطن - يهودي صغير هناك برعاية جلالتكم - يا مولانا - كي نعيش بأمان وسلام وندعو بطول البقاء لدولتكــم وسلطانكــم . لذلك (مشيرا الى اليهود الآخرين) فقد حضر الى مقامكــم هؤلاء اليهود من كبار تجّار اليهود في أوربة ، فهم مستعدون أن يدفعوا ما تشاؤونه من الذهب الانكليزي لخزينتكم الخاصة - مولانا !

عبد الحميد : لماذا تطلبون هذا الطلب ؟ ألستم المسيطرين على مقدرات الدولة التي تشكون منها ، أكثر من أهلها ؟ ما لكم ولهموم الوطن والأمة والأرض ؟ اتركــوا ذلك لغيركــم ألستم تستغلون الشعوب ، وأنتم في داخل جسمها ، وفي عروقها ؟ لمـاذا تريــدون أن تظهروا على السطح بعد أن كنتم تحت الجلد؟ هل أستطيع أن أعرف سبب ذلك؟[1]

---

(١) لدينا عدد كاف من اليهود ، فاذا كنا نريد أن يبقى العنصر العربي متفوقا علينا أن نصرف النظر عن فكــرة توطين المهاجرين في فلسطين ، وإلا فإن اليهود إذا استوطنوا أرضا تملكوا كافة قدراتها خلال وقت قصير ، وبذا نكون قد حكمنا =

اليهودي العثماني : لقد وضعتم أصبعكـم على نقطة حساسة يا مولانا ! فعلى الرغم من أننا مرتاحون في جميع الدول التي نتواجد فيها فاننا نرغب في أن تكـون لنا دولة حرة بين الدول ، أي أننا ، إضافة إلى وجودنـا في الـدول بـين الأمـم ، فنحن بحاجة الى دولة مستقلـة ، وإن نيتنـا حسنــة كما ترى ! أليس كذلك ـ يا مولانا ـ ؟ ! وليس معنى هذا ـ يا مولانا ـ أن يهاجر جميع يهود العالم الى هناك ! فهو ليس الا وطنا نموذجيا صغيرا لليهود !

عبد الحميد : أي ، بالاضافة الى امبراطوريتكـم التي تسيـطرون فيها على مقدرات الشعوب ، وتستغلونها ، تريدون أن تقيموا امبراطوريـة في فلسطين قلب العالم الاسلامي ، وفي منطقة حساسة جدا من الأراضي الاسلاميـة المقدسة وتحدثوا شرخا عميقا في جسم الأمة الاسلامية ؟ !!

= على اخواننا في الدين بالموت المحتم ص ٣٤ (مذكراتي السياسية) للسلطان عبد الحميد

ـ لن يكتفي الصهاينة بممارسة الأعمال الزراعية في فلسطين ، بل يريدون أمـورا أخرى مثل تشكيل حكومة وانتخاب ممثلين ، إنني أدرك أطماعهـم جيدا لكن اليهود في ظنهم أنني سأقبل بمحاولاتهم ، وكما أنني أقدر في رعايانا من اليهود خدماتهم لدى الباب العالي ، فإني أعادي أمانيهم وأطماعهم في فلسطين ص ٣٤ ـ ٣٥ عبد الحميد (مذكراتي السياسية) .

اليهودي العثماني : لكن . . . لكن يا مولانا ـ . . .

(ينهض عبد الحميد منفعلا ـ ويقف موفدو اليهود مباشرة) .

عبد الحميد : (مخاطبا اليهودي العثماني) : قل لبني جلدتك ، أن السلطان عبد الحميد الثالث والثلاثين من سلاطين الدولة العثمانية ، يقول لكم : لو توسعت أراضي دولته أضعاف المساحة الحالية الممتدة من حضرموت الى قفقاسيا، ومن شمال افريقية الى البلقان وأراضي فارس ، لا يمكن أن يعطيكم مقدار شبر واحد من أرض المسلمين لا في فلسطين ، ولا في أي بقعة أخرى أبدا (يمد يده الى اليهودي العثماني الذي ينظر اليه نظرات حاقدة) (ثم يتابع قائلا » : مالك تنظر اليّ ، كمن سيحاسب الآخر في يوم من الأيام ؟

اليهودي العثماني : أستغفر الله ، مولانا ، أستغفر الله !

عبد الحميد : (بحدة) انتهى الحديث عند هذا الحد .

(ينحني اليهودي العثماني انحناءة شديدة يكاد رأسه يلامس الأرض وكذلك يفعل اليهود الآخرون ، عبد الحميد معتدل في وقفته . . . يتراجع اليهودي العثماني ، ويتبعه مرافقوه ، ثم يخرجون من الطرف

الأيسر للديوان . . . يرن السلطان الجرس اليدوي الذي على الطاولة الصغيرة بجانب كرسيه . . يدخل من اليمين رئيس الحرملك . . ثم يقف أمام السلطان وينحني انحناءة خفيفة) .

عبد الحميد : (ينظر اليه) هل ما يزال شيخ الاسلام منتظرا ؟ !

رئيس الحرملك : (يرفع رأسه وينظر الى السلطان وهو عاقد اليدين) نعم ـ يا مولانا ـ

عبد الحميد : فليتفضلوا بالدخول .

(يتراجع رئيس الحرم ويخرج ، ويجلس السلطان على كرسيه مهموما يتأفف . . يدخل من اليمين شيخ الاسلام ، ويتقدم الى الأمام ثم يقف ، وقد تزيّا بجبة وعمامة بيضاوين ، وعلى كتفه وشاح أخضر) .

شيخ الاسلام : السلام عليكم ، سلطاننا .

عبد الحميد : وعليكم السلام ، فضيلة شيخنا ـ (ثم يشير الى كرسي بجواره) تفضلوا الى هنا فضيلة شيخنا (ثم يجلس السلطان والشيخ متقابلين) لقد دعوتكم للاستئناس بآرائكم ولأسألكم عن الماسونية ؟[1] .

---

(١) للفارماسون (أي الماسونيين) عندنا تصرفات مزعجة ، يحاولون بحماس زائد =

شيخ الاسلام : ربما لا تكــون معلوماتي عنها بأكثر من معلوماتكم .

عبد الحميد : وإذا كانت الماسونيــة أداة لخدمة الأهداف اليهودية ؟؟ !!

شيخ الاسلام : كارثة كبيرة ، سلطاننا . . !!

عبد الحميد : والأكثر من ذلك ـ أن تكـون منظمة سريــة تهدف لإفساد العالم وتدميره ، وتنشيــط رؤوس الأموال اليهودية ؟ !!

شيخ الاسلام : (باستغراب) وماذا أيضا سلطاننا ؟

عبد الحميد : والأشد من هذا ، أنها تخدم اليهوديـة وتتستر خلف الشعارات البراقة ، مثل الأخوة ، الإنسانية ، والحرية . . وتعمل بتخطيط من اليهود لإفساد العقائد والأخلاق !!

شيخ الاسلام : يا للفظاعة ، سلطاننا !!

عبد الحميد : وما رأيك إذا كان هدفها ، نزع الايمان من القلوب ، ونزع محبة الله والرسول من

= نشر أفكار تجديدية لا يفهمها الناس إذ الأغلبية عندنا لا تأبه بالأفكار التحررية ، والذين يميلون الى التعاون مع هؤلاء حفنة من الناس بقيت خارج البلاد ردحا من الزمن فانقطعت عن جذورها . . الشيء الوحيد الذي استطاعوا تحقيقه هو بذر الشقاق والعصيان في البلاد وصفوف الجيش . ص ٧٣ مذكراتي السياسية ـ عبد الحميد .

النفوس ، فعلى أي شيء تجتمع البشرية بعد ذلك ؟ !!

(يرفع عبد الحميد بصره الى شيخ الاسلام الذي ينظر اليه ويستمع بدهشة . . بينما يستمر عبد الحميد في الكلام) .

إذا كانت هذه هي أهدافهم ، فما الحكم الشرعي فيهم ، شيخنا ؟ !!

شيخ الاسلام : هم من أخبث أنواع الجماعات وألعنها يا مولانا !

(ينهض عبد الحميد ، وكذلك شيخ الاسلام) .

عبد الحميد : هذه هي الماسونية « أخبث أنواع الجماعات وألعنها » (فترة صمت) حضّروا فتوى في هذا الخصوص ، وسوف نمدكم بكل الوثائق اللازمة .

(يمد عبد الحميد يده مصافحا شيخ الاسلام ، ويشد على يده بلطف) .

« تطفأ الأنوار ، ويد شيخ الاسلام بيد عبد الحميد »

المَشهَدُ الثَاني

المنظر والمكان : (باحة جامع الحميدية المطلة على الشارع ، في المقدمة باب كبير مفتوح على مصراعيه . .) « في الطرف الأيمن شيخ الاسلام مع عدد من العلماء ، يسمع صهيل الخيول في الخارج . . . صمت طويل ، أصوات دعاء بعد ذلك من الداخل » .

صوت الداعي : اللهم !! احفظ دولة المسلمين الى الأبد .

المجموعة : آمين . . . آمين . . .

صوت الداعي : اللهم ، ارفع البلاء عن المسلمين ، واحفظهم من كيد الأعداء ، واهدهم الى العمل الصالح كما أمرتهم في قرآنك الكريم ، يا رب العالمين .

المجموعة : آمين . . . آمين . . .

صوت الداعي : اللهم احفظ دولتنا من كل سوء، ومن كيد الأعداء ، ولا تخيّب رجانا ، أيدينا مرفوعة ، وأصواتنا مسموعة ، سلّم اللهم أوطاننا ،

واحفظ خليفتنا عبد الحميد خان الثاني ،
ووفقه لما فيه خير الأمة وسلامتها . .

المجموعة : آمين . . . آمين . . .

صوت الداعي : الفاتحة

(يمسح الداعون وجوههم بأيديهم ، رئيس الحرملك من الطرف الأيسر بخطوات سريعة ، يقف أمام شيخ الاسلام باحترام ويحييه) .

رئيس الحرملك : مولانا السلطان نزل من مقصورته

(رئيس الحرملك خلف شيخ الاسلام ، الذي وقف مع مرافقيه احتراما للسلطان) . . . السلطان نزل من الطرف الأيسر ـ بلباسه المعهود ـ يسمع في الخارج صوت صهيل الخيول) .

عبد الحميد : (مخاطبا شيخ الاسلام) مرحبا يا صاحب الفضيلة ! هل أديتم الصلاة ؟

شيخ الاسلام : نعم يا مولانا ، ونحن ننتظر موكبكم ، لنحظى بشرف استقبالكم هنا .

عبد الحميد : لقد أتعبت نفسك ! اركب معي الآن في العربة السلطانية ورافقني الى القصر .

شيخ الاسلام : نحن رهن رغبتكم يا مولانا .

(يقف عبد الحميد أمام الباب الكبير ، ويجيل

النظر ، يسمع صوت الاستعداد . . صليل السيوف وقعقعة السلاح . .) .

صوت القائد الأول : استعد . . . .

صوت القائد الثاني : استعد . . . .

صوت القائد الثالث : استعد . . .

(يسمع صوت ضرب الأرجل على الأرض - صهيل الخيول - عبد الحميد وكأنه يهم بالخروج يلتفت الى شيخ الاسلام . .) .

عبد الحميد : لننتظر لحظة ، هل استلمتم الوثائق ؟

شيخ الاسلام : نعم يا مولانا .

عبد الحميد : هل دققتم فيها جيدا ؟

شيخ الاسلام : بكل تأكيد مولانا .

عبد الحميد : ما هو القرار النهائي ؟

شيخ الاسلام : من ألعن أنواع الجماعات .

عبد الحميد : إذن أنتم تهيئون الفتوى ؟

شيخ الاسلام : نعم ، أطال الله بقاءك .

عبد الحميد : لتكن فتوى قوية الحجج ، حتّى يعرف العالم الاسلامي بل والعالم أجمع ، حقيقة هذه المنظمة المفسدة ، يجب علينا أن ننبه الأوربيين وحتّى البابا ، ونحذرهم من خطورة الماسون لكي يعلموا أن علماء

المسلمين في هذه الدولة لهم شأنهم ومكانتهم الرفيعة .

(يخطو عبد الحميد خطوتين نحو الباب ، يسمع صوت بوق الاستعداد في الخارج ، يعود مرة ثانية ويقف أمام شيخ الاسلام) .

عبد الحميد : (مخاطبا شيخ الاسلام) هناك نقطة هامة يجب ملاحظتها ، وهي أن هذه المنظمة مسيطرة على العالم بشكل علني ، أو بشكل سري في الخفاء ، خلف الكواليس وقد تتحرك ضدنا بخبث لذلك يجب أن تكون الفتوى قوية لا تقبل الطعن . . مهما تكن النتائج فاننا قررنا اعلان الحرب على الأعداء الداخليين والخارجيين ، هل فهمتم ما أقصده ـ يا فضيلة الشيخ .

شيخ الاسلام : نعم ! . يا حضرة السلطان .

عبد الحميد : سوف نتحرى جميع الجوانب الأخرى في القصر ، ونأخذ حذرنا .

(فجأة يسمع صوت انفجار قوي ، يحطم نوافذ جامع الحميدية ـ ويلاحظ ذلك من الباب المفتوح صراخ وعويل ، وصهيل خيول في الخارج ، وكذلك

صوت العربة التي انقلبت ، وأصوات أخرى كثيرة) .

شيخ الاسلام : (يصرخ) يا الهي ما هذا ؟ !!

(رئيس المراسم يخرج مسرعاً ، وهو يغطي وجهه بيديه ، وعبد الحميد لم يتغير في حالته شيء . ضجيج قوي في الخارج .. عدد يصرخ ويركض .. شيخ الاسلام ملاصقا عبد الحميد ، وتبدو عليه الدهشة ، بعض العلماء بجوار شيخ الاسلام يبدو عليهم الارتباك ـ مرافق عبد الحميد جمد في مكانه ، المرافقون الأخرون خرجوا بسرعة صوت سلاح .. عبد الحميد يقترب من الباب ثم يخطو خطوات ..)

شيخ الاسلام : (يناديه) مولانا ! مولانا .

(يمشي عبد الحميد ، يخرج من الباب ، يبتعد ، ثم يختفي ، يتحرك المرافق بسرعة ، ويتخذ مكانه في وسط الباب ، وينظر نحو الخارج .. الأصوات تنقطع) .

المرافق : (وهو ينظر) مولانا السلطان يمشي نحو احدى العربات (صمت طويل ... جميع الأنظار مشدودة نحو الباب ، الجميع صامتون وواقفون في أماكنهم) .

المرافق : (في تعجب) ركـــب السلطان العربة بنفسه وأمســـك المقــود ! ! أين السائــق ؟ أين السائس ؟

(شيــخ الاسلام ومرافقوه خطوا خطوات ليتابعوا تحرك السلطان بأبصارهم . . صوت حوافر الخيـول والعجلات تبتعد قليلا قليلا) .

شيخ الاسلام : (بصوت عال) السلطان يرد على تحية الجماهير وهو في العربة وحده ـ انه ـ انه سلطان عظيم وانسان نبيل قلّ نظيره .

(صوت العجلات يتلاشى وهو يختلط بصوت حوافر الخيول)

(وتطفأ الأنوار)

المَشهدُ الثالِث

(عبد الحميد بهيئته الرسمية المعهودة، واقف وقد ارتدى قفازات بيضاء، وأمامه أربعة من السفراء الأجانب بلباسهم الرسمي):

عبد الحميد : (مخاطبا السفراء) أشكركم على اهتمامكم ، وبلغوا تحياتي وشكري لرؤساء دولكم ، إن مرتكبي الحادثة الأليمة سوف يكشفون قريبا أمام المحكمة ، ويظهرون أمام الرأي العام العالمي ـ عند ذلك سيكونون عبرة لكل العالم ويظهر المجرم الحقيقي . . . لا أريد الآن أن أفصح أكثر مما يلزم ، في كل دولة وفي كل جسم توجد مناطق وأوساط تساعد على نمو الجراثيم ، لتسبب بدورها القلق والاضطراب ، هذه الجراثيم تحاول في أول عملها أن تقضي على الرأس ، على كبار ملوك العالم (مشيرا الى السفراء) مثل ملك انكلترة ، وقيصر روسيه ، وأمبراطور ألمانيه ، ورئيس

جمهورية فرنسة ، يجب أن يأخذوا العبرة من مثل هذه الحادثة ، أما بالنسبة لنا ، فان مسألتنا ليست متعلقة بشخص أو سلطان . . فنحن مستهدفون في إيماننا وعقيدتنا ، وعليكم أن تبلغوا رؤساءكم بأن الذي وراء العملية هذه ، مهما تكن قوته ونفوذه (ويضرب برجله اليمنى على الأرض) سوف يسحق تحت الأقدام . . . (يسكن قليلا ثم يمعن النظر في السفراء واحدا تلو الآخر)

أيها السادة المحترمون ، يجب أن تعلموا أنكم منذ عهد والدي المرحوم السلطان عبد المجيد خان تعاملون في دولتنا على مستوى رؤساء دول وليس كرؤساء مخافر أو بصفة وال . . .. اننا حريصون على المصلحة المشتركة التي تجمعنا ببلدانكم . . . أحييكم وأقدركم أيضا بصفتكم سفراء لرؤساء دول - والسلام -

(ينحني السفراء احتراما لعبد الحميد) .

عبد الحميد : رئيس المراسم سوف يقدم لكم هدايا رمزية في ديوان الاستقبال . . أرجو قبولها من حاكم دولة مستقلة حرة .

(ينحني السفراء قليلا ، تحية للسلطان عبد الحميد ، ثم يتراجعون خطوات الى الوراء) .

عبد الحميد : (مشيرا بيده الى أول سفير في اليسار) من فضلك يا سعادة السفير .

(يقف السفير كما يطلب منه ، بينما ينصرف الآخرون) .

عبد الحميد : (بلطف وهدوء) اقترب من فضلك يا سعادة السفير .

(يقترب السفير من السلطان) .

عبد الحميد : يا سعادة السفير ، إنني أقدم لكم هدية ثمينة ، وهي عبارة عن كتاب تاريخي للعصور السبعة الماضية ، والكتاب يعود الى العصر السلجوقي ، وهو مكتوب بخط اليد ، أتمنى أن ينال إعجابك .

(ينحني السفير تحية للسلطان ثم يعتدل) .

عبد الحميد : سوف تجدون داخل الكتاب مغلفا ، تستطيع فتحه ، لتنفذ ما فيه من طلب ، وبعد ذلك يمكنك أن تذهب مساء الى محفل (باي اوغلو) مطمئن البال . . . تفضلوا . . . يمكنكم الانصراف سعادة السفير .

(ينحني السفير بشدة في هذه المرة تحية للسلطان ثم

يتراجع خطوات نحو الخلف ، ثم يخرج .. يدخل من اليمين رئيس الحرملك)

رئيس الحرملك : (محيا السلطان) المرافق يستأذن بتقديم الأوراق والوثائق لكم يا مولانا ..

عبد الحميد : فليدخل في الحال ومعه رئيس المراسم أيضا .

(يخرج رئيس الحرملك من اليمين ، السلطان يخلع قفازه الأبيض ، رئيس المراسم يدخل أولا ويحيي السلطان تحية عسكرية ، بينما يدخل المرافق وهو يحمل الأضابير والأوراق ، ويحيي السلطان ..) .

عبد الحميد :(مشيرا الى رزمة الأوراق) كل هذه صحف ؟ !!

المرافق : نعم يا مولانا ..

عبد الحميد : إن هؤلاء لن يكفوا عن شتمي ومهاجمتي على صفحات الجرائد ، حتّى لو كلفت أبناءهم بمراقبتهم .

رئيس المراسم : يعتمدون على الحقوق التي منحتهم إياها ، يا مولانا ..

عبد الحميد : أليس هؤلاء انتهازيين ؟ !!

رئيس المراسم : بلى ؟ يا مولانا .

عبد الحميد : على الرغم من أنه أمر مشين ، ولكن لا يخلو من فائدة أيضا ، إلا أنني لن أقع تحت تأثير

ردود الفعل ، ولن أرضخ لأحد منهم بل انه من الممكن أن يجعل هذا الصنف من الناس يراقب بعضه بعضا لينشغلوا بأنفسهم ، ورب ضارة نافعة أحيانا !! ولعل في ذلك حكمة ، فقد نتنبه الى أمور لم تكن في الحسبان وتجعلنا حذرين تجاه بعض الأمور . . . لأننا مسؤولون .

رئيس المراسم : مولاي ، انك لست مسؤولا أمام أحد ، لا يستطيع أحد ما أن يحسبك .

عبد الحميد : لا ، يا باشا ، إن مسؤولية كل انسان تكون بحسب موقعه ، فكلما صغرت الرتبة خفّت المسؤولية أيضا ، وهكذا تنتهي كل المسؤوليات في النهاية الى المسؤولية أمام الله ، كل انسان يستطيع أن يحاسبني على أعمالي كلها ، بدءا من الخادم الذي في قصري .. وتبقى المسؤولية الكبرى أمام الله . . هذا ما أحس به في قرارة نفسي ، غايتي - يا باشا - هي إنقاذ هذه الدولة من الانهيار ، لأنني تقلدت زمامها وهي منهكة ، متعبة ، ان هذا ما يجعلني أطّلع على كل صغيرة وكبيرة في هذا العالم .

رئيس المراسم : ان مركز الاستخبارات دائرة حساسة في مراقبة شؤون البلاد وإدارتها ، يا مولاي !

عبد الحميد : كلامك صحيح ، فكل المشاكل التي نعاني منها نابعة من عدم معرفتنا بنوايا أعدائنا ، وعدم اطلاعنا على تصريحاتهم في صحافتهم . . يجب أن نتدارك هذا الأمر ، وخلال مدة قصيرة علينا أن نكتشف النوايا السيئة ، والمكائد الخبيثة التي يبيتها الأعداء لدولتنا . . . يجب أن يأخذ هذا الجهاز مزيدا من الاهتمام ، ويعطى مزيدا من الدعم في تعاملنا مع أوربة ، لأنها معاملة بالمثل . . . ولو أنهم اعتبروا ذلك تجسسا ضدهم لأن من حقنا أن ندافع عن دولتنا وحقوقنا وهذا ما يأمر به ديننا (يسكت قليلا ويحدق في رئيس المراسم الذي يظل صامتا) .

اسمع أيها الباشا ، سأعطيك مثالا بسيطا ، ان مجموعة صغيرة من مخابراتنا ، اكتشفت بسهولة أن سفير احدى الدول التي تكيد لنا ، وتعادينا ، يتردد ليلا على أحد النوادي ويخسر هناك عشرات الليرات الذهبية ليلا ، ويعمل على تحصيلها نهارا ـ . . أرأيت الى

سبب ذلك ؟ ! !

رئيس المراسم : نعم يا مولانا .

عبد الحميد : لقد سددت ديون هذا السفير ضمن المغلف ، في الكتاب الذي أهديته له اليوم . . ما رأيك في ذلك ؟ !!

رئيس المراسم : منتهى الحكمة ، يا مولانا !

عبد الحميد : وقس الأمور كلها على هذا النمط منذ الآن

(ثم يلتفت الى المرافق ويطلب اليه أن يجلس . . يجلس عبد الحميد على كرسيه ، وينتهي رئيس المراسم الى كرسيه على يمين السلطان ، بينما يتقدم المرافق نحو الطاولة ويضع عليها الأضابير والوثائق ، ثم يبتعد قليلا عاقدا يديه ينتظر . . . يتناول عبد الحميد ورقة وينظر اليها قائلا) : انه جدول ؟

المرافق : نعم ، يا مولانا .

عبد الحميد : يضم أرقاما وتواريخ وخلاصة موجزة ؟

المرافق : نعم يا مولانا .

عبد الحميد : (يمعن النظر في الورقة ، ثم يتركها مخاطبا المرافق) : هل عندكم القدرة والإرادة على نسيان هذه المعلومات ، وإخراجها من أذهانكم بعد الاطّلاع عليها ؟ ! !

المرافق : نعم . يا مولانا!

عبد الحميد : ادَّخَرتُكُمْ دولتكم لمثل هذه الظروف ، (ثم يتناول الورقة بيده ويجيل فيها النظر وهو يقول) : الاتحاد والترقي . . الاتحاد والترقي . . الاتحاد والترقي . . سالونيك . . سالونيك . . بلاد الروم . . بلاد الروم . . مقدونيا . . انها رياح مسمومة تهب منذ أكثر من قرن ، ومن بلاد الروم ومقدونيا بالذات !! لماذا لا يأتي أي شيء من الأناضول . . و . . والحجاز ؟

رئيس المراسم : لأنهم من المسلمين الخلّص يا مولاي .

عبد الحميد : (يضع الورقة) بماذا تفكرون ، وماذا ستفعلون لهؤلاء الاتحاديين يا سعادة الباشا ؟ !!

رئيس المراسم : انهم نشؤوا في ظل رحمتكم وتسامحكم غير المحدود ، فأخذوا يتطلعون الى الاستيلاء على الحكم يا مولاي . . . وهكذا الكلب عندما يكون حرا طليقا ، يصبح أخطر من عصابة قطاع طرق !!

عبد الحميد : (يهز راسه) هذا صحيح يا سعادة الباشا . . . هذا صحيح !

رئيس المراسم : ولكن يا مولاي ، أرجو أن لا تطغى رحمتكم وتسامحكم على هيبتكم وحزمكم .

عبد الحميد : (بنبرة أسى) ماذا أفعل يا سعادة الباشا . . ؟ هل أقدم على قتل ابن آدم الذي كرمه الله على جميع المخلوقات ؟ أستطيع ذلك ولكن لن أفعل ، مهما بلغت ذنوبه وجرائره ، حتّى الناس الذين قتلوا عمي « عبد العزيز » تركتهم ولم أقتلهم ، هل تراني وقعت على قرار إعدام « مدحت باشا » الذي أباح لنفسه أن يجرّم السلطنة منذ تأسيسها إلى اليوم ماذا أفعل بهؤلاء ؟ انهم يصورونني وكأنني أعيش على أكباد الأطفال الصغار ، ويسمونني « السلطان الأحمر » .

رئيس المراسم : إن هذه العبارة من اختراع الأرمن ، يا مولاي .

عبد الحميد : لذلك لن أقدم على إعدام هؤلاء ، حتى لا أعطيهم مبررا لهذه التسمية . . إنني لا أحمل في نفسي سجايا جدّي « السلطان محمود » في الشدة والصلابة ، ولا أجد في نفسي الدافع لإنهاء حياة أي إنسان . . ماذا أفعل ؟ هكذا خلقني الله ! ! لم يبق أمامي الا اتباع

الأساليب السياسية ، لإخراج العقرب من داخل الثوب .

رئيس المراسم : إن العقرب ولو طردت وعاشت في خارج الثوب ، فانها تبيض وتتكاثر وتقوى ، ومن ثمّ تهجم على الثوب .

عبد الحميد : (ينظر بتأمل) فاذا لم ننجح بالطرق السياسية للحفاظ على سلامة دولتنا من أذى هؤلاء ، وانهارت فاننا نكون قد تركنا في الوقت نفسه صفة حسنة من صفاتنا للأجيال القادمة التي سوف تقيم دولة الاسلام ، وهم أشداء على أعدائهم . .

رئيس المراسم : هل يمكن أن أعرف ، ما هذه الصفة التي ستتركونها للأجيال القادمة ، يا مولاي ؟ ! . .

عبد الحميد : (بنظرات تأمل ، وبصوت مختنق ونبرات حزينة) الرحمة . . يا سعادة الباشا . . الرحمة .

(الستار)

الفصل الثاني

المشهد الرابع

(المشهد الأمامي من ثلاثة حواجز جدارية تقسم المسرح الى ثلاث قاعات ، على صدر القاعة الوسطى الدولة العثمانية ، في القاعة الوسطى السلطان جالس على الكرسي . . وعلى يمينه شيخ الاسلام ، وعلى يساره رئيس المراسم وفي الخلف يقف المرافق ورئيس الحرس ، واثنان من حرس القصر ، وفي القسم الأيسر على يمين السلطان عبد الحميد يقف أربعة سفراء وفي القسم الأيمن ، اليهودي العثماني ويهود آخرون . السلطان بلباسه المدني المعهود ، اللباس التقليدي وعلى صدره أوسمة وشعارات أنيقة . اليهود سيماهم في وجوههم ، والحضور يبدو على مظهرهم كأنهم في قاعة مراسم . في هذه الأثناء يسمع صوت الخطيب) .

الصوت الأول : (من آخر الصالة) أيها السادة الأعضاء عندما استلمت منصبي في الدولة العثمانية ، صادفتنا بعض العقبات في تطبيق القانون

الأساسي ، وبناء على اقتراح بعض المسؤولين الكبار في الدولة تم تعطيل أعمال المجلس النيابي ، حتى حدوث التقدم العلمي والرفاه الاقتصادي وارتفاع المستوى الثقافي كان من الضروري تعليق أعمال المجلس حتى افتتاح المدارس لتعم جميع أنحاء الدولة وازدياد نسبة المتعلمين . . آمال الشعب واضحة جلية . عندئذ رأيت من واجبي دعوة المجلس النيابي الى الانعقاد لتطبيق القانون الأساسي (الدستور) . . (تصفيق حاد طويل . . ثم صمت) .

عبد الحميد : (مخاطبا شيخ الاسلام) اذن لنر هل تكون سعادة المواطنين بالكلمات الرنانة التي تنطلق هنا وهناك من كل فم ، أم أن سعادة الدولة هي في المبادىء التي نعرفها نحن والتي تكفل الخير للجميع .

شيخ الاسلام : ليحمي الله المسلمين من كل سوء، يا مولاي السلطان .

عبد الحميد : (ملتفتا برأسه) آمين .

الصوت الأول : (من خلف الصالة) إن جهود الدولة من أجل الحرية وإعلان المشروطية شيء ملفت للنظر

ولا يخفى عن أعين المراقبين ، أن أمير بلغاريا وكل مقاطعــة شرقــي « روملي » قد أداروا ظهورهــم لنـا ولدولتنــا وأعلنــت بلغــاريا استقلالهـا وبعدهـا مباشرة أعلنــت المجــر والنمسـا ولحقتهـا البوسنـة والهرسـك ، إزاء هذه الأوضاع السيئة أرجو من مجلسكم الموقر تقديم كل عون وسنـد ، وبـذل الجهـود في مساعدة الدولة للتغلب على الصعوبات .

(تصــفيق حاد وطــويل من جميع الحضــور . . . بعده . . صمت)

عبد الحميد : (مخاطبا رئيس المراسم) مع بداية الحرية تتقلص دولتنا أيضا .

رئيس المراسم : نعم مولاي نعم .

(السلطان عبد الحميد يحني رأسه قليلا) .

الصوت الأول : (من خلف الصالة) إن من أولى مهماتنا إعطاء الأولوية للشؤون المالية والاقتصادية وبحـث الموازنـة العامـة ما بـين صادراتنـا ووارداتنـا ومصروفاتنا ، وبحـث امكانية زيادة الموارد والتقليل من المصروفـات ما أمــكن ذلك ، وتوسيع دائرة العمل وتطـوير أعمال التعمـير

والإسكان والسعي لإضفاء الاستقرار والهدوء على بلادنا . . وزيادة المدارس لنشر العلم النافع ووضع أسس التصنيع ، وتقوية الجيش عددا وقوة ، وإن لي كبير أمل وثقة في أن تطرح الحكومة أمام المجلس الأمور الهامة في حياتنا لنيل الثقة والموافقة .

(تصفيق حاد وطويل . . . صمت)

الصوت الأول : (من خلف الصالة) انني سعيد لافتتاح المجلس اليوم وأتمنى أن يكون هذا بداية خير ومنفعة لحكومتنا الجليلة ، ولأمتنا .

(تصفيق حاد وحار طويل وجماعي . . . صمت)

الصوت الأول : أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعا ، وأن يتقبل أعمالنا وأن ينصرنا ويكون لنا نعم العون والسند .

الأصوات من الخلف : آمين . . . آمين .

عبد الحميد : (يميل نحو شيخ الاسلام) ما رأيكم ؟

شيخ الاسلام : الحرية الحزينة من لسان مسلم حزين .

عبد الحميد : سعادة الحرية شيء هائل وعظيم يا سادة ، ولكن هي حقيقة حزينة (يلتفت الى رئيس المراسم) وأنتم يا باشا ما هو رأيكم ؟

رئيس المراسم : إنني أرى يوم أن انطلقت دعاوى الحرية في هذا البلد بدأت تتفكك قطعة قطعة وأكثر من ذلك يا مولاي (يحتد ، ويقول) أنظروا الى هؤلاء الذين يحدقون النظر في شخصكم ، من الروم ، والأرمن ، واليهود ، والنصيريين ، والمارونيين ، والأقباط ، والذين لا يحملون أي معنى روحي بل يحملون الحقد والكراهية ، وانظروا لهؤلاء الذين انضموا اليهم ويحسبون أنهم منّا ، . . . أهؤلاء سوف يمثلون أمتنا ويحكمونها ، . . يوم يحكمون بلدنا فدولتنا سوف تنهار وتتلاشى من الوجود .

عبد الحميد : إنك متهيج . . . يا سعادة الباشا . . . تكلم بصوت منخفض ! إنك على حق ، وربما أكون آخر سلطان يحكم هذه الدولة .

رئيس المراسم : لا قدر الله يا مولاي ؟

صوت الرئيس : (رئيس المجلس ، من خلف الصالة) ليتفضل السيد النائب الذي سوف يتكلم باسم المجلس ردا على السلطاني .

(السلطان عبد الحميد والحضور جميعا آذان صاغية)

الصوت الثاني : (من خلف الصالة) مولاي السلطان . . إن

الفترة التي أعقبت الفتوحات العثمانية كانت فترة جمود وركود شامل أدت الى تكالب الدول علينا مرفقة بحب السيطرة والنشاطات السيئة وسيطرة غير القادرين على إدارة البلاد مما أدى الى خنق فئات الشعب الى أن جاء والدكم السلطان عبد المجيد خان ، بإدارته السامية الملكية ، وقرر المساواة بين الطبقات كلها في كل الأسس والقواعد ، وهكذا دفعوا بالدولة العثمانية خطوة نحو المدنية والحضارة الحديثة ، ولكن يجب تغيير أصول الإدارة وشكل الحكم للوصول الى الغايات السابقة ، وكان من الواجب اعلان حاكمية الشعب وقد أخذ هذا بعين الاعتبار من قبلكم وصرحت إرادتكم السامية بقبول القانون الأساسي ، ومن ثم تشكل مجلس النواب .

(يرتفع الصوت ويأخذ أبعادا مخيفة) لأنه في أصول الحكم والحاكمية ، كل حكم خارج نطاق الشورى يعتبر سلباً للحقوق والإستبداد وتحكم الفرد .

(صمت . . يقف رئيس المراسم وهو متضايق وقد علت وجهه علائم الغضب)

عبد الحميد : (للجلوس من حوله) على زعمهم أنهم يعنونني بهذا الأسلوب .

الصوت الثاني : (من خلف الصالة) في الوقت الذي كانت هذه الإصلاحات الحقيقية ، تلاقي قبولا حسنا من جلالتكم فقد أوهم بعض كبار المسؤولين في الدولة بأن خطرا ما يحيط بمستقبل هذه الدولة العظيمة مما أدى الى تعطيل المجلس وإغلاقه .

(سكوت .. هدؤ ... وصمت مطبق) .

عبد الحميد : (دون أن يلتفت وينظر الى أحد) انها اتهام وتحقير واضحان .

رئيس المراسم : الى متى تصبر وتحتمل ما لا طاقة لك به من التحقير والإهانة يا مولاي الى متى ؟

عبد الحميد : (نفس الوضع السابق) بالصبر ، إن الصبر عندنا لا ينفد سوف نصبر ونتحمل .

الصوت الثاني : (من خلف الصالة) إن بعض الناس قد أغفلوا قدركم وخدعوا ذاتكم يا مولاي ، وشنوا هجوما عنيفا على القانون الأساسي الذي هو محل حرية وسعادة الأمة وقد افتروا على مبادىء القانون الأساسي وداسوا كرامة الأمة . وأوصلوا البلاد العثمانية الى جرف

هار ووصلوا الى درجة تحقير الأمة (يزداد الصوت قوة وانفعالا) إن هؤلاء الخونة هدفهم تخريب الأدمغة وطمس العيون .

(ينهض عبد الحميد بقوة. . . ينقطع صوت الخطيب . . ويقف جميع الحضور) .

شيخ الاسلام : أرجوك يا مولاي لا تخرج من الصالة لأن هذا معناه تحقير المجلس .

رئيس المراسم : على هذه الحالة لم يبق أي حل سوى أن نستدعي الفرقة الخاصة .

عبد الحميد : (دون أن ينظر الى أحد) لن أخرج ولكن أريد أن أقف احتراما لسماع الخطاب الذي فيه تحقير لشخصيتي (يلتفت قليلا نحو رئيس المراسم) لا أريد أن أسمع منكم ثانية كلمة الفرقة الخاصة .

(في هذه الأثناء يدخل من الطرف الأيمن فجأة يهودي عثماني يتجه نحو الأمام) .

اليهودي العثماني : (متوجها نحو المجلس النيابي وبصوت عال) تحية لمولانا السلطان الذي أظهر احتراما وتفهما للمجلس واستمع للخطاب وهو واقف .

(تصفيق حار وحاد زلزل هذؤ الصالة تسمع أصوات في الصالة) .

صوت من الخلف : يعيش مولانا السلطان، مؤيد الحرية .

أصوات من الخلف : يعيش مولانا السلطان . . يعيش مولانا السلطان . . . يعيش مولانا السلطان .

صوت الرئيس : (من نهاية الصالة) الكلمات الأخيرة من الخطاب يجب أن نسمعها أيها السادة .

(صمت تام . . وسكون شامل) .

الصوت الثاني : (من خلف الصالة) إننا نعيش لحظات حب ووفاء للأمة والوطن ، هدفنا هو خدمة هذا الوطن وهذه الأمة بالخير . غايتنا ودليلنا المساواة والعدالة والاتحاد . . . هدفنا العدالة والحق لا تستطيع أي قوة أن تزحزحنا عن أهدافنا . وأن تؤثر على عزيمتنا . . لا نخشى الا الله ، ونراقب ضميرنا، فمن كان هدفه الحق لا بد أن يجد الحق بجانبه (تصفيق حاد . . في جميع أنحاء الصالون من الخلف والجوانب والأمام ويسمع أصوات المدافع . . . السلطان يشير بيده نحو أعضاء المجلس وقد وضع على يده قفازه . . سكون شامل وهدؤ تام . . وتستمر أصوات المدافع) .

عبد الحميد : (متوجها نحو أعضاء المجلس) أيها السادة أعضاء المجلس : لقد وصلت بكم الى

الشيء الذي لا لسان له ليفصح عن نفسه ويفسره كل على هواه ، انه مجهول الهوية والحدود ، وطالما طلبتموه باسم الأمة مرة وباسم الوطنية مرة وباسم الإرادة تارة وباسم الانعتاق تارة أخرى ، إنه الحرية وإني لأدعو الله أن تستمروا صادقين في طلبها حتى النهاية ، كما أتمنى أن تظلوا صادقين معها فلا تخونوها ولا تتخلوا عنها ، ولكم أطيب تحياتي .

(عبد الحميد يجلس بانحناءة خفيفة جدا)

الصوت الأول : (من الصالة) أمد الله في عمرك يا مولاي .

الأصوات من جميع أنحاء الصالة : أمد الله في عمرك يا مولاي .

(مرة ثانية السلطان عبد الحميد يحني رأسه تحية لأعضاء المجلس . . وهو يهم بالانصراف ، يصعد مكانه ويتبعه المرافقون ، بينما تبدأ فرقة الإنشاد بنشيد السلطان . . . السفراء واليهود ينحنون تحية للسلطان عبد الحميد . . ومع انتهاء فرقة الإنشاد . . . تطفأ الأنوار) .

المَشهَدُ الخامِسُ

(المكان ـ قاعة المراسم في قصر يلدز . . . النافذة الكبيرة في الصدر . . وأعمدة من المرمر على أطراف القاعة . . عبد الحميد مرتديا اللباس الشتوي في وسط القاعة . . . في الطرف الأيمن . . وأمام عبد الحميد . . يقف رئيس المراسم والمرافق ورئيس الحرملك . . واثنان من الحرس والمساعدين ، المرافق ورئيس الحرملك في وضعية الاحترام والتقدير ، والجنود في وضعيتهم واستعدادهم المعروف) .

عبد الحميد : (ينظر الى ورقة بين يديه ثم يرفع رأسه ، ويقول) أين الصدر الأعظم ؟

المرافق : مختبىء في القصر يا مولانا !

عبد الحميد : ورئيس الأركان ؟

المرافق : هو أيضا في القصر . . يا مولانا ، ولكن الظروف تقتضي أن يختفيا في مكان ما .

عبد الحميد : حتى صهري لم يرض أن يستضيف رئيس الأركان في قصره ، الكل خائف ! !

(المرافق يطرق رأسه ناظرا الى الأرض)

عبد الحميد : (يستمر في كلامه) خذه الى بيتك .

المرافق : الأمر لمولانا السلطان .

عبد الحميد : أما الصدر الأعظم فبإمكانه أن يذهب ليلا الى قصره ، أعتقد أن بعض المشاكل ستحل حتى المساء وتهدأ الأمور .

المرافق : الأمر لمولانا السلطان .

عبد الحميد : ما هي أخبار شيخ الاسلام الجديد ؟

المرافق : مع الباش كاتب في ميدان أياصوفيا يقدمان النصائح للجنود ، يا مولانا .

عبد الحميد : ما المدة التي أمضاها حتى الآن ؟

المرافق : اليوم ، الثاني من نيسان يا مولانا ! يكون قد أمضى (٥٣) ساعة في منصبه اعتبارا من الحادي والثلاثين من آذار .

(تسمع من الخارج أصوات بعيدة . . طلقات رصاص . . . فجأة يديرون رؤوسهم نحو النافذة . . وكلما حث الوقت خطاه . . اقترب صوت الرصاص ، واقترب . . . أصوات متفرقة من أكثر من مكان صمت مفاجىء وطويل . .) .

عبد الحميد : . . و . . الآن يأتون . . الى القصر ؟

رئيس المراسم : (باضطراب وهلع شديدين) يا مولانا . . بناء على تقرير رئيس الانضباط إن الذين تجمعوا

في الميدان . . ميدان أياصوفيا . . هم أفراد من الكتيبة الرابعة وانضم اليهم جنود ثكنة (طاش قشلا) نتيجة انعدام الانضباط وحصول الفوضى انضموا بسلاحهم لأولئك فمنذ (٥٣) ساعة يحاصر استانبول(١٥) ألف عسكري دون قائد . . لا يعرفون هدفهم . . ويتردد على ألسنتهم « نطالب بالشريعة » وهم لا يعرفون . . ما الشريعة !! . . يجب أن نتخذ قرارا ونتحرك لخنق هذا التمرد في مهده .

عبد الحميد : (يصغي سمعه بهدوء لأصوات طلقات الرصاص التي تقترب من القصر) أخبروني ما هي قراراتكم . . . وما هي حركتكم . . . وما تفكرون به ؟

رئيس المراسم : (بعزيمة قوية) إن أغلب الكتائب الخاصة لم تتحرك بعد ، ومعظم الوحدات العسكرية التي حولنا لا تعلم ماذا يجري ، وكذلك الجيش كله ، وحتى الوحدات المتمردة طاعتها لسلطانها ، يجب حل المجلس عرفيا وكذلك اللجان التي هي بؤرة الفساد والتمرد .

عبد الحميد : لا . . . يا باشا . . إن نجحت حركتنا ، فأنا أتولى محاسبة الجنود المتمردين ، وإن لم تنجح وتسحق وتفشل ، فأكون عندئذ أنا المسؤول عن هذه الحركة ، أمام الاتحاديين . . فأنا الذي سوف أهلك ! !

رئيس المراسم : إن كان الوضع كذلك . . . يا مولاي فالوضع يملي علينا أن نتسلم زمام الأمور كاملة ونتحرك لنسبق الزمن ونغتنم الفرص ؟

عبد الحميد : هل تعتقدون أن هذه الحركة تنتهي بحدود نجاح خنق التمرد . . ؟ هل تعتقدون أن هذا التمرد من تدبير وتخطيط هيئة ما . . ؟ هدفها نقل السلطان عبد الحميد من سلطان مكبل اليدين أمام حكومة « إصلاحية » الى سلطان سجين مقيد بقضبان من حديد ؟ !

رئيس المراسم : مولاي المعظم . . لنلق القبض عليهم . . وهم بالجرم المشهود . . نقضي عليهم ونكشف ألاعيبهم ومؤامراتهم .

عبد الحميد : (وآثار الحزن والألم على وجهه) إذن يجب عليّ أن أقفز بالشعب فوق قناطر الدماء، وعندما يصل الأمر الى هذه الحدود يا سعادة الباشا . . . فأنا غير موجود .

(أصوات الرصاص ، أصبحت قريبة ملء السمع والنظر وهي متجهة نحو النافذة ، يسمع هدير وضوضاء . . وأصوات قريبة في الخارج) .

الأصوات الخارجية : يعيش مولانا السلطان . . . !

رئيس المراسم : انكم ترون وتشاهدون بأم أعينكم يا مولانا ، كيف أن الجنود المتمردين يحبون السلطان . . يعطون لذاتكم الاشارة بالتحرك ، لحقن الدماء . . لأن الاتحاديين سوف يسفكون الدماء دون رحمة . . نرجوك السماح لنا بالتحرك يا مولانا ؟

عبد الحميد : (مخاطبا رئيس المراسم) لن أستطيع . . . تلك ليست من حدود إرادتي ، فأنا مستسلم لأمر الله .

(ارتفاع الأصوات في الخارج . . كان انذارا بأن المتمردين قد وصلوا القصر . . تسمع رشقات رصاص) .

صوت من الخارج : نريد مولانا . . نود رؤية سلطاننا ومولانا .

الأصوات من الخارج : نريد مولانا السلطان ؟

(ينظر الجميع عبر النافذة . . والسلطان عبد الحميد يمشي الهوينا نحو النافذة) .

أصوات قريبة

من النافذة : يعيش مولانا السلطان .

(السلطان عبد الحميد يحيي بيديه الجنود الذين تحت النافذة ، ثم يتراجع بسرعة مذهلة ويمد يده للمرافق) .

عبد الحميد : . . هيا . . . أسرع وانزل فورا ، واحضر معك بعضا منهم مثل الجاويش والأنباشي كممثلين عنهم ؟

المرافق : الأمر لمولانا السلطان .

(يخرج المرافق من الطرف الأيسر وهو يهرول) .

عبد الحميد : (مخاطبا رئيس المراسم بجوار النافذة) أيها الباشا انكم بلباسكم العسكري وهؤلاء الجنود يتمردون على قادتهم العسكريين ، لذلك فضّلت ارسال مرافقي اليهم . . لأن الكتل البشرية الكبيرة عندما تثور وتغضب فمن الصعب التفاهم معها ومن الصعب وقف هدير ثورتهم بسهولة .

رئيس المراسم : نعم ، صدقتم يا مولاي ! . .

عبد الحميد : بالنسبة لي سوف أقف أشاهد ما يجري به قدري الذي أراده الله لي ، وخطه لعبده هذا

(مشيرا الى نفسه) ولن أبدي أي مقاومة أو اعتراض لما سيجلبه لي القدر . . .

رئيس المراسم : هذا التسليم للقدر ، يعني عدم المقاومة والحركة يا مولانا ؟

عبد الحميد : ليس كذلك ! القدر هو أن يعمل الانسان كل ما بوسعه ، وينتظر الحكم من الله تعالى ، ولكن أحيانا يصل الانسان الى طمأنينة روحية ، حيث يرتاح لجنب الله دون مقاومة واعتراض ، يصل الى درجة لا يستطيع معها شرب الماء الذي بقربه ويموت عطشا.

(تصفيق حاد وحار في الخارج)

صوت من الخارج : ليعيش مولانا السلطان .

(أصوات متباينة . . وضوضاء عادية) .

عبد الحميد : (وهو ينظر عبر النافذة) انهم آتون الى هنا .

رئيس المراسم : (بانفعال) انهم آتون يا مولانا ؟

عبد الحميد : (مخاطبا رئيس المراسم) لم أجدكم في أي يوم مضى مثل هذا اليوم اضطرابا وانفعالا ، الورقة الطائرة تدل على سرعة الرياح ، ولكنها مهما بلغت من السرعة والقوة فان

الصخور كفيلة بكسر شوكة تلك الرياح فكونوا مثل الصخرة .

رئيس المراسم : (بعد أن أطرق رأسه طويلا) اني عاجز عن الجواب يا مولاي .

(صمت طويل . . من الطرف الأيسر تدخل مجموعة من العسكر ، أحدهم برتبة (جاويش) وآخر معه برتبة الأنباشي) ، وكيل عريف . .(ثلاثة عساكر ، وعند رؤيتهم للسلطان يركعون أمامه بأسلحتهم الكاملة) .

عبد الحميد : (مخاطبا العساكر الذين انكبوا أمامه وركعوا . . . بلهجة شديدة) قفوا ، هذه التحية لا يقرها الاسلام وهي أمر لا يليق بالانسان (يقف الجنود أمام السلطان ويتخذون وضعية الاستعداد والاحترام) .

عبد الحميد : (مخاطبا العسكر) ماذا تطلبون ؟ ولماذا التمرد والعصيان ؟

الجاويش : نريد الشريعة يا مولانا !

عبد الحميد : هل الشريعة ليست موجودة حتى تطالبوا بها ؟

الجاويش : نريد الشريعة يا مولانا !

عبد الحميد : ماذا تقصدون بعبارة « نريد الشريعة» ؟

وماذا تريدون أيضا مع الشريعة ؟

الجاويش : نريد الشريعة يا مولانا !

عبد الحميد : (مخاطبا رئيس المراسم) كم هو شيء مؤلم !! (يلتفت الى العسكر مخاطبا) من حرضكم على التمرد والعصيان ؟ .. من المحرض ؟

الجاويش : من أنفسنا ، يا مولانا .

عبد الحميد : ومن أيضا ؟

الجاويش : بعض الشيوخ من ذوي العمائم ، يا مولانا !

عبد الحميد : ألا يستطيع الكافر والخنزير أن يضع عمامة على رأسه لخداع الناس ؟

الجاويش : نحن نحترم العمامة حيث كانت، وعلى أي رأس يا مولانا !!

عبد الحميد : أمّا ضبّاطكم .. وقوّادكم ..

الجاويش : انهم يضربوننا ويشتموننا يا مولانا !!

عبد الحميد : هذا بدهي .. ألا يضرب الأب ولده للتأديب ؟

الجاويش : طبعا بدهي .. أرواحنا فداء لمثل أولئك القادة والضباط .

عبد الحميد : وماذا أيضا ؟

الجاويش : لكنهم يا مولاي ... يسبون ديننا وأعراضنا ، يا مولانا ؟ !!

عبد الحميد : (مخاطبا رئيس المراسم) وأسفاه ... وأسفاه .. يضللون الشعب ، ويحفرون الأخاديد بين الشعب والحكومة كي يفصلوا بينهما ، ماذا تقول ... للذي يريد أن يجعل من المسلم رجلا ذليلا أيها الباشا ؟

رئيس المراسم : هؤلاء فئة من الضباط الجدد ، يا مولانا ! ولم نتخذ بحقهم الاجراءات اللازمة لردعهم .

عبد الحميد : حتى الآن .. حتى هذه اللحظة ؟

رئيس المراسم : منذ عصور يا مولانا .. لم نستطع اتخاذ الاجراءات اللازمة !!!

عبد الحميد : (مخاطبا العسكر) انصرفوا الآن .. واذهبوا لأصدقائكم وأخبروهم أن يعودوا الى ثكناتهم ... فقد عفوت عن الجميع ولن يعاقب أحد على ما جنت يداه .. ولكن أخبروهم بضرورة الطاعة والمحافظة على القانون .

(يرفع العسكر أيديهم تحية للسلطان ، ثم يخرج الثلاثة مع بعضهم) .

الجاويش : بين يديّ ضابط محتجز يا مولانا !

عبد الحميد : من هذا الضابط ؟

الجاويش : ضابط بحرية ، يا مولانا قيل انه يريد أن يقصف القصر من البحر . . لذلك اعتقلناه وأحضرناه اليكم .

عبد الحميد : أين هو ؟

الجاويش : (مشيرا بيده) في أسفل النافذة ، يا مولانا !

عبد الحميد : هيا . . عودوا فوراً الى أصدقائكم !

(يمشي السلطان عبد الحميد نحو النافذة ، العسكر يحيون رئيس المراسم ، ثم يديرون ظهورهم وينصرفون من الطرف الأيسر ، السلطان عبد الحميد مشيرا للمرافق أن يفتح النافذة ، يهرول المرافق نحو النافذة ويفتحها ويقف بجانب النافذة باحترام ، يقف عبد الحميد أمام النافذة وهو يحدق النظر خارجها) .

عبد الحميد : (مخاطبا من في الخارج) أبنائي ، عودوا الى ثكناتكم ، لا داعي لمطالبتكم بالشريعة ، إن الشريعة هي أُمْنِيَة ومطلب كل واحد منا ، أطيعوا قادتكم، ولا تعصوا الأوامر ، جنود بلا ضباط كالإنسان دون عقل ، سوف نبذل جهودنا كي نربي ضباطا تحبونهم ويحبونكم .

أصوات من الخارج : عشت ، ودام ظلك يا مولانا (صمت وهدوء) .

صوت حزين

من الخارج : أنقذني يا مولاي هؤلاء يريدون قتلي بالحراب .

عبد الحميد : (ينظر الى الخارج) ومن هو الآخر ؟

صوت من الخارج : ضابط البحرية الذي كان يريد أن يقصف القصر .

عبد الحميد : اتركوه، لا تعيروا سمعا لمثل هذه الترهات . . لن يستطيع أحد أن يقصف القصر .

(من الخارج يسمع صوت استغاثة حزينة ومخيفة) .

رئيس المراسم : (يصرخ من الخلف) لقد قتل الضابط . . لقد قتل الضابط ! !

(فجأة يضع السلطان عبد الحميد يده اليمنى على عينه وهو يقف . ينظر من النافذة ، ويظل فترة دون حراك ، . . يسمع عويلا وصراخا . . يتراجع الى الخلف ويمشي نحو الوسط بخطوات ثقيلة)

عبد الحميد : (متجها نحو رئيس المراسم ورئيس الحرملك ، واثنين من المساعدين كانا في الطرف الأيمن) أنا لا أريد أن تراق الدماء ، ولكن لا يمكن حقن الدم الذي سيراق حتما ! !

(الجميع لفه الصمت ، المرافق عيناه مغمضتان ، عبد الحميد ينظر الى نقطة بعيدة مجهولة ، وعلى وجهه ارتسمت آيات حزن عميقة) .

(تطفأ الأنوار)

المَشهَدُ السَّادسُ

(المشهد الأمامي ، منظر المشهد الأول نفسه . . . لا يوجد شيء سوى كرسي السلطان وطاولته الصغيرة . . السلطان باللباس المدني . . وهيئته المعروفة وهو جالس على الكرسي ، وأمامه رئيس الديوان ، والمرافق ورئيس الحرملك ، وظهورهم نحو اليمين) .

عبد الحميد : (مخاطبا المرافق بصوت هادىء) على الأغلب لم يبق أحد في القصر .

المرافق : نعم يا مولاي !

عبد الحميد : هل انصرف البستاني . . والخدم. . . ؟

المرافق : نعم يا مولاي ، الحرس المسلحون والمساعدون قد انصرفوا أيضا . .

عبد الحميد : انه امتحان الهي كبير ! . . . حتى حاشية الحرم قد لجؤوا الى قصور الأمراء .

المرافق : نعم يا مولانا !

عبد الحميد : انه فراغ مريع ! ! (ينظر الى القسم الخالي من

القصر ، يتناول الجرس من جانبه ويدقه) يرن في فراغ كبير .

(السلطان عبد الحميد في نفس الوضعية يضع الجرس على المنضدة)

المرافق : هموم ما بعدها هموم يا مولانا ؟

عبد الحميد : هل يظن هؤلاء . . بأن الفرقة المتحركة التي وصلت الى أبواب استانبول سوف تقطع رقاب من في القصر ؟

المرافق : ماذا أستطيع أن أقول يا مولانا !

عبد الحميد : (وقد زاغ بصره) أسهل لابن آدم أن يضحي بوطنه وأمته وسلطانه على أن يضحي بشعرة من نفسه آه ما أغلى النفس . . النفس التي تفضح كل كذّاب ، أن تنهار أمة وتسقط بكاملها خير من أن ينكسر فنجان صغير لنا .

المرافق : شيء مؤلم ومحزن جدا يا مولانا !

عبد الحميد : لقد طلب رئيس المراسم اذنا بالمقابلة فهو ينتظر أمام الباب فليدخل حالا .

(السلطان عبد الحميد يشير للمرافق ورئيس الحرملك بالخروج ، وهو يرمقهما بنظرات زائغة حزينة) .

عبد الحميد : (مخاطبا المرافق ومشيرا الى رئيس الحرملك ، وهما

ينصرفان) خذ معك رئيس الحرملك وحاولا تنفيذ ما أوصيتكما به بدقة . . . فإنني سأمكث وحدي مطمئنا الى أن الله معي وهو يرعاني .

المرافق : سنحاول الرجوع بسرعة يا مولانا !

السلطان عبد الحميد : إذا رأيتم أحدا في القصر فأوصياه بفنجان القهوة لي فانه لم يبق شيء اسمه مراسيم الاستقبال .

(يخرج المرافق ورئيس الحرملك من الطرف الأيمن . عبد الحميد شارد الذهن ، يرن الجرس عدة مرات ثم يترك الجرس على المنضدة ، ثم يستغرق في التفكير ، يدخل رئيس المراسم سالا سيفه وعلى وجهه دلائل الانفعال . . يتقدم عدة خطوات ثم يقف جامدا بلا حراك) .

السلطان عبد الحميد : ما هذا يا باشا ، هل فقدتم عقولكم ؟

رئيس المراسم مولاي السلطان . . سامحني واعفو عني ، لقد ملئت نفسي باليأس حتى أتيت لعندك سالا سيفي .

السلطان عبد الحميد : (ببطء شديد ومؤثر) ألق بالسيف أرضا ـ ألق بالسيف أرضا .

(بحركة آلية عفوية ، يسقط السيف على الأرض ،

ويسمع صوت ارتطامه على الأرض ويرى بريقه) .

السلطان عبد الحميد : لم يعد للسيوف مكان بعيننا . . . لقد انتهى مفعولها .

(أدرك رئيس المراسم ما جنت يداه بخروجه عن أصول المراسم في القصر ، وطأطأ رأسه أمام السلطان يستجدي الصفح والعفو) .

رئيس المراسم : (مستنجداً وصارخا) مولاي السلطان . . الجيش . . . الجيش الذي حضر من سلافيك الذي هو كتيبة التصدي ، لقد خدعهم القواد بقولهم ، نحن ذاهبون لانقاذ السلطان من الخطر)[1] .

أعطني يا مولاي إذنا لاستدعاء أفراد الفرقة الخاصة لطردهم وكسر شوكتهم . واحضرهم جميعا أمامك مكتوفي الأيدي ، مولاي لم يعد هناك متسع من الوقت بلغ السيل الزبى . . . والطلقة خرجت من بيت النار باتجاهنا لم يعد لنا الخيار يجب أن نسرع لتدارك الأمر . لم يعد هناك مجال للتفكير بعد الآن .

(تسمع نحنحة نسائية من خلف الستار ، من خلف السلطان عبد الحميد) .

---

(١) كتيبة التصدي التي حضرت إلى استانبول لم تكن تعلم أنها حضرت لخلع السلطان، بل لإنقاذه.

صوت نسائي

من الخلف : تفضلوا يا مولاي جلبت لكم القهوة .

(من خلف الستار ومن خلف السلطان عبد الحميد ، تمتد ذراع حاملة صينية فضية لامعة وعليها فنجان من القهوة ، وينهض عبد الحميد لتناول القهوة) .

رئيس المراسم : (ينهض من مكانه مناديا) مولاي السلطان ألم يبق أحد غيرك في القصر حتى تقوم بالخدمة من فضلك دعه عنك .

السلطان عبد الحميد: (وبيده الصينية) نعم يا باشا أيام المحن يقوم السلطان بالخدمة ، لن ينقذني ولن ينقذ السلطنة شيء كالوضوح ، وضوح الأشياء مثل وضوح الفنجانين فوق الصينية في مثل هذه الأيام التي اختلط فيها الحابل بالنابل ، الوضوح أن يعرف كل انسان واجبه الملقى على عاتقه .

وأول ما يفكر به انقاذ نفسه من الهلاك .

(يتناول رئيس المراسم الصينية من السلطان عبد الحميد فور قيامه من مكانه ، ثم يضع الصينية على المنضدة الصغيرة ، يرجع الى مكانه بجانب السيف

الملقى على الأرض ، يجلس السلطان عبد الحميد ، ويأخذ فنجانه من الصينية .

السلطان عبد الحميد : (بأعصاب باردة وكلمات متقطعة) أيها الباشا لقد اتخذت قراري منذ زمن ، لن أرضى بإراقة أي قطرة دم مسلم من أجلي .

رئيس المراسم : (بصوت مرتفع) ليس من أجلكم مولاي السلطان ، لكن من أجل الدولة .

السلطان عبد الحميد : (بهدؤ- وتؤده) من أجل أن تقولوا هذا يجب أن تفصلوا شخصية عبد الحميد عن الدولة . . ألم يحاصروا استانبول من أجل هذا .

رئيس المراسم : يا مولاي يكفي أن نبقى داخل قوقعة التفكير والحسابات كفانا خداعا بكلمات المكر والدهاء يجب أن ننقذ الدولة ولو اعتبر أن الدم المراق من أجل شخصكم الكريم .

السلطان عبد الحميد : لا . . . لا . . . لا . . .

رئيس المراسم : (يتناول السيف من الأرض) يا مولاي أنا لا أجيد غير لغة امتشاق السيوف والقتال .

السلطان عبد الحميد : إن مقام السلطنة يقف حائلا أمامك ، لأنه يعرف على أي رأس سينزل هذا السيف .

رئيس المراسم : إذن يا مولاي ، إن قمت وتحركت من نفسي ، ووضعت كل ضباط الفرقة

الخاصة .. كلهم جميعا تحت أمري ؟ ..
ماذا أكون عندها ؟

السلطان عبد الحميد : عندها تكون قد انضممت الى طابور الخونة ، كونوا مع الصادقين ، كونوا صادقين مع أنفسكم ومع الله .

(بحركة هستيرية عنيفة يكسر رئيس المراسم السيف الذي بيده بضربة قوية على ركبته يسمع صوت كسر السيف الذي تقشعر منه الأبدان ويلقي رئيس المراسم قطع السيف تحت قدمي السلطان عبد الحميد) .

السلطان عبد الحميد : (بكل وقار وثقة ، ورفعة) قد عفوت عنك ، كما عفوت عن أصحاب الطرابيش اللبادية الذين قدموا من مقدونيا ، الذين خدعوا الأمة وجروها نحو وادي الموت والهلاك.
عندما كتبوا على طرابيشهم (إما الحرية وإما الموت)
ويجهش بالبكاء ويقول : أطلب لنفسي العفو والمغفرة من الله .

الفَصْل الثَالِث

المَشهَدُ السَابع

« المشهد الأمامي . . . لا يوجد أي شيء »

السلطان عبد الحميد في الوسط . . . وفي الطرف الأيمن وفد مؤلف من أربعة أشخاص أحدهم ذو شاربين غليظين ، والثاني ذو شاربين رفيعين ، أما الثالث فذو لحية . . . أما الرابع فهو اليهودي العثماني،اليهودي حاسر الرأس أما الآخرون فعلى رؤوسهم طرابيش حمر . وقد ارتدوا معاطف طويلة ، أما السلطان عبد الحميد ففي هيئته المعتادة » .

السلطان عبد الحميد : (للوفد) أنا أحيي الوفد الذي خلعني من
السلطنة وأشفق منه ، (صمت وهدوء) إني لا
أتهم أحداً ولا أحقد على أحد ولا أحمل لأحد
في نفسي غلاً (صمت وهدوء) جوابي على
جملتكم « الشعب عزلك » على الشكل
الآتي : انه من غير الممكن احضار كل
الشعب لتثبيت هذا الادعاء أو عكسه ،

ستظل أكاذيب وأباطيل السياسيين باسم الشعب ورد كل هفواتهم وأعمالهم إلى إرادة الشعب ، ادعاء لا يمكن رده وتكذيبه (صمت وهدوء) . بالنسبة إلي أعتبر هذا إرادة الله وقدري .

لولا ارادة الله لما مثلتم بين يدي الآن ، في الأصل أنتم عاجزون عن فتل شواربكم . (صمت) وكما قلت اني لا أتهم أحداً ! لقد حزَّ في نفسي أن أُتَّهم من قبل شيخ الإسلام أتهم بحرق كتب الشريعة والفقه [وهذا هو سبب عزلي] في مواقد الحمامات واني مسرف وظالم لو أن في هذه الفتوى ذرة اخلاص بقدر قطرة من مياه البوسفور كان يجب عليهم أن يقولوا ، إن عبد الحميد غير لائق لمقام السلطنة ، يجب أن يُعزل بسبب احترامه للشريعة في أشد سويعات مرضه ، وحدَّ من الإسراف ، وقد عمل على تسديد الديون من أملاكه الخاصة ، وعدم ظلمه ، وإنه أيضاً لم يشهر السلاح ضدنا (صمت وهدوء) .

إن الكتب التي أُحْرقت في مواقد الحمامات

حمام « تشمبري طاش » يعرفها هذا اليهودي العثماني جيداً «و مشيراً بيده الى اليهودي العثماني » إنها الكتب التي أمليت وكتبت بأوامر من اليهود والماسونيين ، هدفها افساد عقيدتنا وزيادة النفاق والفرقة في ديارنا أحرقت دفاعاً عن شريعتنا الغراء ، (صمت) .

أما الشيء الآخر الذي حزّ في نفسي : وجود يهودي عثماني وهو رئيس اليهود الماسونيين « واضعاً يده على اليهودي العثماني » بين أعضاء وفدكم الذي جاء ليعزلني باسم الأمة[1] (يرتفع صوته بحدة) كيف تتركون هذا اليهودي المأفون يمثل الأمة الاسلامية ؟ ألا يوجد بين المسلمين أحد يقول لخليفة المسلمين « لقد عزلتك الأمة » .

ألم تستحوا باعتباركم مسلمين وأتراكاً أن

(١) ورد في مذكرات « طلعت » أحد قادة الاتحاد والترقي ، أن الوفد الذي قابل السلطان عبد الحميد وأبلغه قرار العزل لم يكن فيه مسلم أو تركي وإنما كانوا : واحداً من اليهود ، وآخر أرمنياً ، وآخر يونانياً ، وآخر يوغوسلافياً .

تسمحوا لهذا اليهودي المأفون بأن يقول هذا الكلام ؟ (وبحدة أكثر) أنتم تعملون الانقلاب أم اليهود ؟

(أطرق الجميع رؤوسهم أرضاً ما عدا اليهودي العثماني . عبد الحميد يرمقهم بنظرات حادة وثابتة والشرر يتطاير من عينيه) .

السلطان عبد الحميد : إلى أن تتخذ الحكومة قراراً بحقي وبمصيري ومستقبلي فانني كمواطن يملك حقوقه الفردية ، آمركم بالانصراف من أمامي الآن .

اليهودي العثماني : ينتصب ويعتدل مخاطباً السلطان عبد الحميد : هذا القصر ليس لك وإنما هو ملك الأمة والوفد الذي تحقره وتطرده هو الذي يمثل هذه الأمة .

السلطان عبد الحميد : (يخطو خطوة نحو الستارة يضع يده على مكان انقسام الستارة مشيراً) هل تريد أن أفتح الباب وأجمع الأمة حولي وأسألها قائلاً : أيتها الأمة كوني كقلب رجل واحد أمام هذا المأفون وقولي جوابك ، عندها ستموت من الخوف أم لا ؟

اليهودي العثماني : إن قرار العزل جعلك مجنوناً ! ليس عندنا جواباً لمجنون ؟ . . .

السلطان عبد الحميد : عندما جئت تطلب مني أن أعطيكم فلسطين وطناً لليهود وطردتكم وقلت لك إنك تنظر إلي كمن سوف يحاسبني في يوم من الأيام ، لقد هيؤوا لك ذلك اليوم ، أعرف هذا جيداً ، إنه رداً على طلب شبر أرض لم أعطه لكم . لن أترككم تحلمون بأن تجعلوا كل الوطن الاسلامي أرضاً يهودية .

(صمت وهدوء) أخرج الآن من هنا ، إني باسم أمتي وكممثل حقيقي لها أطردك من هنا .

يتظاهر اليهودي العثماني ، كمن يريد أن يدافع عن نفسه ، ينسحب إلى الخلف يخرج الجميع دون تحية للسلطان ، ينظر عبد الحميد من خلفهم نظرات فيها دموع ، يدخل المرافق من الطرف الأيسر وفي يده ورقة ، يدير عبد الحميد نفسه فجأة نحو المرافق) .

المرافق : مولاي ! لقد حضر وفد من الحكومة وهم في غرفة رئيس الديوان (الباش كاتب) .

السلطان عبد الحميد : ألا يكفي إحاطة القصر بسور من الجند والمراقبة الشديدة .

المرافق : لقد جلبوا أمراً جديداً يا مولانا ، أمراً جديداً من الصدر الأعظم الجديد . (عبد الحميد يرى الورقة من بعيد ، لا يتحرك ولا يغير من هيئته ووضعه) .

عبد الحميد : وما هو ذلك الأمر ؟

المرافق : انهم يرسلونكم إلى سلانيك يا مولانا الى سلانيك يا مولانا إلى قصر (آلاتيني) في سلانيك يا مولاي .

السلطان عبد الحميد : وقد أدار وجهه إلى المشاهدين ، وكأنه زهق من نفسه « الى سلانيك . . . الى سلانيك إلى قصر اليهودي (آلاتيني) هناك ما كنت أجهل حالتي التي سأصل إليها . بل كنت أعرف بأن سلانيك في يوم ما سوف تكون مقبرة المسلمين سوف تنتقم من المسلمين .

(الستار)

المَشهَدُ الثَامِنُ

الديكور « غرفة السلطان عبد الحميد في قصر (بايلرباي) في استانبول » .

نافذتان تطلان على البحر ، على اليمين نصف جدار يُرى في نهايته فراغ وامتداد لصالون الاستقبال وفي نهاية الجدار يوجد (بروانا) ، وخلف البروانا سرير عادي وبالقرب منه وأمامه سرير سياحي وفي اليسار طاولة عمل وحولها بعض الكنبات البسيطة » .

« عبد الحميد في هيئته العادية دائماً ، وهو جالس في الطرف الأيمن على إحدى الكنبات تبدو عليه علائم المشيب جلية ، والمرافق يجلس قرب المنضدة وبيده قلم يكتب شيئاً ما على المنضدة » .

عبد الحميد : قل لي إلى أين وصلت !

المرافق : سيدي الجملة الأخيرة هي : إذا كان الحريق قد أضرم في عهدي فإن الذين استلموا زمام الأمور بعدي قد صبوا الزيت على النار بدلاً من الماء ؛ هذه حقيقة أشهد عليها أمام الله

والتـاريخ ، ومستعـد للســؤال ، أمــام الله والتاريخ .

(يرفع المرافق رأسه وينظر لعبد الحميد)

عبد الحميد : ان الرجل الأوربي قد حقننـا بتـرياق حرية الفوضى ، وخدّر عقولنا ، بدّل بيئتنا ثم أخذ يمزقنا إرباً إرباً ويرمي بنا إلى الضياع .

المرافق : أأسجل هذه أيضاً يا سيدي ؟

السلطان عبد الحميد : لا . . . اسمـع . . . سجـل رؤوس أقـلام حتى لا تنفرط سلسلة الأفكار من أذهاننا .

المرافق : (يسجـل بعض الملاحظـات) سمعـاً وطاعـة يا سيدي .

عبد الحميد : الحـرية ، عندمـا أعلنـوا الحـرية في البــلاد بالشكل الـذي أرادوا ، إن الـذين استلمـوا الحـكم من بعـدي ، قد أضاعــوا طرابلس الغرب والبلقان (يضيف بصوت عال) الـذين أطلقوا مائة طلقة وطلقة مدفع إيذاناً بإعلان الحرية كأنما أرادوا إخبار أوربة بأن البلاد قـد أصبحت جاهزة للتسليم) .

(يلتفت المرافق الى الخلف ، وكأنه قد شعر بأن أحداً ما يتجسس من خلف الستار) .

السلطان عبد الحميد : ماذا هنــاك ، أي شيء ، هل تبحــث عن

جواسيس يسترقون السمع ؟

المرافق : إن للجدران آذاناً يا سيدي !

عبد الحميد : (ينهض واقفاً) لم يبق لدينا ما يستحق استراق السمع أو استمتاع النظر (يرفع صوته) إننا نموت وننتهي .

المرافق : على رسلك يا سيدي . . . اهدأ قليلاً ، وضعك الصحي لا يسعفك .

السلطان عبد الحميد : إنك تعرف جيداً إني لم أنفعل مرة واحدة طوال فترة سلطنتي ، لم أرتبك عندما سقطت ثريا كبيرة فوق رأسي ثريا ضخمة تزن ثلاثة أطنان ، ولا حتى عندما انفجرت القنبلة وتطايرت الأحصنة في السماء[1] ، ولكن الآن . . . الآن الوضع جد مختلف لقد قدر الله لي أن أرى سقوط وانهيار دولة . . . تمتد من الشرق الى الغرب عشرات الآلاف من الكيلومترات ومن الجنوب الى الشمال (ويشير بيده نحو الجهات الأربع) .
إني أعيش لحظات من العذاب المميت وأنا أشاهد أسراباً من الدخان وحقولاً من الحرائق

(١) في هذا اشارة الى محاولة سابقة قام بها الأرمن لاغتيال السلطان .

من هذه النوافذ ، (يشير بيده نحو النافذة) وكلما اقتربت من النوافذ أرى الدم والدمار والخراب . . . على الرغم من تألق الشمس .

المرافق : (وهو ينتقل إلى الطرف الآخر) لننتظر يا مولاي ، ربما ينتصر الحلفاء ويكسبوا الحرب العالمية .

السلطان عبد الحميد : (وقد غاص في أريكته) . . . الحلفاء . . . الحلفاء سوف يخسرون الحرب ! وفي النهاية ينتشلون نفوسهم من الورطة ، أما نحن فإلى الهلاك والرماد مررنا ، سوف يقتسمون بلادنا ويتركوننا في وادي الضياع والفوضى والتشرد . لقد عملت ثلاثين سنة على تلافي هذا الأمر لأمنع حدوث هذه النتيجة .

(من الطرف الأيمن تسمع طرقات قوية متتالية ، ينهض عبد الحميد مرتبكاً وينظر إلى اليمين والمرافق ويتحرك نحو الصوت بسرعة ويغيب في ذلك الاتجاه .

من الطرف الخالي ينطلق صوت الصدر الأعظم : هل يسمح لنا مولانا المثول بين يديه .

السلطان عبد الحميد : (مبتسماً) عسى أن يكون خيراً ، أأنتم أيها

الباشوات ، الصدر الأعظم ووزير الحربية والقائد العام .

الصدر الأعظم : إذا سمحتم جلالتكم ، سوف نتباحث في أمر هام .

السلطان عبد الحميد : لا مانع ، تفضلوا .

القائد العام : بوسعك أن تترك وتغادرنا إذا سمحت أيها المرافق .

(يغلق الباب بشدة والسلطان لا زال واقفاً) .

الصدر الأعظم : هل يسمح لنا مولانا بالحديث .

السلطان عبد الحميد : يمكننا التحدث ونحن وقوف تفضلوا .

القائد العام : لقد أخبرنا الانكليز ان الحرب العالمية التي أجبرنا على خوضها قد دخلوها ضد الطرف الآخر .

السلطان عبد الحميد : إن كان ما تقوله صحيحاً ، كان بامكانكم أن تدفعوا هذا الذي أجبرتم عليه بصورة أو بأخرى .

القائد العام : كيف يا مولاي كيف ؟ !!

السلطان عبد الحميد : (بحدة وقساوة) . وذلك بإعلان الحياد العسكري المسلح . . .

القائد العام : هذا غير ممكن ، فنحن في وضع عالمي يهدد مصير كل الشعوب ، لا نستطيع أن نقف

دون حراك لا نستطيع أن نقف دون مشاركة .

السلطان عبد الحميد : من أجل هذا تحركتم نحو الهاوية ؟

القائد العام : قد حدث ما حدث يا مولاي ! الأمل لم ينقطع بعد ، لقد حضرنا في هذه اللحظة لنبحث مسألة هامة ومصيرية معكم يا مولانا .

السلطان عبد الحميد : تفضلوا ! تكلموا !!

القائد العام : لقد وصل العدو بقواته البرية والبحرية وهي مجهزة بأحدث الأسلحة ، العدو قد وصل (جناق قلعة) .

السلطان عبد الحميد : أعرف . . . أعرف . . . إن جنودنا يصدون طلقات العدو في جناق قلعة . يتصدون بصدروهم لطلقات العدو، يضحون بكل قوتهم ليدفعوا عن الوطن ويلات العدو وهم يستميتون من أجل الوطن ، أعرف كل شيء ! .

القائد العام : ولو أننا ننتصر ونكسب المستقبل . . . .

السلطان عبد الحميد : (مقاطعاً) ألا يزال المستقبل والانتصار لكم .

القائد العام : حتى الآن الانتصار والمستقبل لنا ، ولن نتسامح في أهدافنا .

السلطان عبد الحميد : نعم . . . نعم .

القائد العام : حتى ولو كانت النتيجة لصالحنا ، ولكن يجب ألا يغيب عنا وأن نحسب حسابنا بأن العدو سوف يجتاز مضيق (جناق قلعة) ويحتل العاصمة مدة من الزمن .

السلطان عبد الحميد : نعم . . . نعم . . .

الصدر الأعظم : قررنا أن ننقل الحكومة وسمو شقيقكم إلى مدينة « أسكي شهير » .

السلطان عبد الحميد : نعم . . نعم . .

الصد الأعظم : لن نستطيع أن نترككم ، أن نترك شخصية هامة سيّرت أمور الدولة العليا بنجاح عظيم في الماضي القريب ، والشهير بسياسته المحنكة ومهارته ، وهو بمثابة الممثل الأول للخلافة العثمانية ، لن نستطيع أن نترككم هنا . . . في استانبول .

السلطان عبد الحميد : نعم . . . نعم . . .

الصدر الأعظم : من فضلكم اختاروا أي مكان يروقكم في الأناضول لننقلكم إليه لقد جئنا لنأخذ جوابكم في هذا الشأن .

(ينتبه بقوة وبدهشة ، يستغرق في التفكير ،

« صمت طويل » يسمع صوت بارجتين حربيتين ،

من النافذة المطلة على المضيق إحداهما تطلق صفارة ذات صوت خشن بينما الأخرى تطلق صفارة بصوت قوي ووحشي .

السلطان عبد الحميد : (يتجه نحو الجهة الخالية) وما هذا الصوت :

القائد العام : البارجتان « ياووز »[1] و« ميدلّي » تجتازان المضيق .

السلطان عبد الحميد : مقابل ، بطة ووزة نضحي بأمبراطورية عظيمة . . ؟

القائد العام : من فضلك أعطنا جواباً ، أيها السلطان العظيم .

السلطان عبد الحميد : لو قلتم . . لو قلتم . . أيها السلطان السجين لكان أفضل .

صوت الصدر الأعظم : ليكن الأمر كذلك ؟ ولكن أجبنا ، نحن في الأصل نحترم ونقدر مكانتك السابقة في نفوسنا .

السلطان عبد الحميد : هكذا إذن ، سوف أعطيكم جواباً شافياً حاسماً ، لكني أريد أن أتكلم أمام شهود عدل ، نادوا مرافقي ، وأصحابي ومشرفي

(١) « ياووز » اسم إحدى البارجتين ، وهو من ألقاب السلطان العثماني سليم .

قصر (بايلر بابي) ورئيس الحرس وكبار ضباط المراسم . . . إلى هنا ؟

صوت القائد العام : ألسنا بشهود عدل ؟ ألا يكفي أن نشهد نحن على ذلك ؟

السلطان عبد الحميد : لا . . . لا . . . بموجب الشريعة الاسلامية لستم بشهود عدل ، ولستم أصلاً بذلك إنكم طرف في الخلاف ، لستم بشهود عدل . . . ولن تكونوا أبداً !!!

الصدر الأعظم : ليكن الله شاهداً بيننا ؟

السلطان عبد الحميد : (وكأنه يبكي) لا شك بأن الله شاهد مطلق ، إنه الشاهد الوحيد ألا تخشون شهادته ، أم أنه قد طبع على أبصاركم فهربت من قلوبكم خشية الله . أم أنكم تتخذون الله شاهداً لكونكم لا ترونه الآن أمامكم ؟

القائد العام : (بقساوة وحدة) أجيبونا بسرعة ؟

السلطان عبد الحميد : (يعتدل ، يرفع رأسه ، ويقف بوقار) إن جدي السلطان محمد الفاتح عندما فتح استانبول ، قد بقي الامبراطور البيزنطي في المدينة ، اختار الموت في قلب المدينة ، الا تنتظرون مني على الأقل تضحية لا تقل عن تضحيته .

(صمت طويل ، وعبد الحميد بوقاره المعهود ، مرتدياً عباءته) .

السلطان عبد الحميد : أعضاء الحكومة وسمو أخي ، يستطيعون المغادرة إلى أي مكان ، أما أنا وبصفتي خليفة وسلطاناً عمل على حماية هذه الدولة مدة ٣٢ سنة وعشرة أشهر و٢٢ يوماً ، لا أستطيع أن أترك من هنا لن أستطيع أن أخطو خطوة واحدة :

« صمت طويل » .

السلطان عبد الحميد : عند فتح مدينة استانبول ، تعرفوا على الامبراطور الذي قُتِل من « بابوجه » الأحمر ، وليتعرف الأعداء على جثتي من طربوشي الأحمر .

انتهى جوابي . . . هيا انصرفوا ! ؟ . . .

(صمت طويل ، هدوء ، وسكون ،) .

السلطان عبد الحميد : (وهو دائماً يتجه نحو الجهة الخالية) أيها السادة . أنت يا صهرنا العزيز أيها الصدر الأعظم ، وأنت أيها القائد العام . . .

انتهى جوابي عند هذا الحد .

(صمت طويل ، يُسمع صوت اغلاق الباب

بعنف. صمت طويل ، يدخل المرافق من الطرف الآخر) .

المرافق: (بانفعال) مولانا ، ما هو مصيرنا ، وماذا سيحل بنا ؟

السلطان عبد الحميد: (نُدَمر ، نفنى ، نهلك مشيراً بيده ، أنظر من خلال هذه النافذة ، في هذا اليوم المشمس ، أنظر ، لن تشاهد غير الدم والدمار وأسراب الدخان وبيادر النار) .

يحني المرافق رأسه ، ويقف باحترام تقدير ، صمت طويل . . . عبد الحميد ينظر إلى النوافذ ،

السلطان عبد الحميد: البلاد في حالة من الفوضى والضياع ، رجل مريض يحتاج إلى الدواء ، عاجز في قصر مظلم ماذا عساه أن يفعل ، إنه كالذي قطع عن حليب أمه ، كالذي يحاول إخراج الماء من الذرة ، إن ألسنة النيران حاصرت كل مكان تحرق الأخضر واليابس إن الدمار شمل كل شيء لم يبق أي شيء ، والخنادق غصت بجثث الجنود . (يرفع يداه الى السماء ويقول) أيتها الحرية الشاردة أهذه هي آثارك ؟ « تطفأ الأنوار وتسمع صفارات البارجتين ، ياووز ، وميدللي وقد ابتعدتا » .

المَشهَدُ التَّاسِع

« لا يوجد أي شيء على خشبة المسرح »

« على الطرف الأيمن . . . عبد الحميد وقد جلس على سجادة صلاة صغيرة وهـو يرفـع يداه إلى الأعلى داعياً » .

السلطان عبد الحميد : إلهي لن أسامح من أوصلني مع أمتي إلى هذه الهـاوية لن أسامحهـم . (صمـت قصـير) لو مزقوني إرباً إرباً ، وبتروا أعضـاء جسمـي وهدمـوا قصري وبيتـي ، حتـى لو أطفأوا النور في بيتي وقضوا عليّ وقتلوا أطفالي أمام ناظـري ، لأنهـم أحرقـوا بلادي وخربوهـا انتقاماً مني . كل هذا لأننـي أحبـك يا الهي وأعبدك ، لن أسامحهم (صمت قصير) ثم يرفع صوته بالدعاء والبكاء .

الهي أسألك بأسمائك الحسنى يا رب ، إنك أنت العادل والحكيم. الأرمن الذين أوصلوني الى هذه الحالـة وعملـوا على خلعـي من

السلطنة « وأسموني بالسلطان الأحمر » يا رب اجعل أجلهم على يد الذين خلعوني ، وسلط عليهم الجلادين كي يقتلوهم ، الهي يا أرحم الراحمين ، لو أنزلت علينا غضبك لأحرقتنا وجعلتنا الرماد ، فعطفك وحنانك يارب ، يا رب بجاه رسولك العظيم صلى الله عليه وسلم . إهد عبادك الذين ضلوا الطريق إن اليهود رسموا لهم طريق الضلال والغواية ، وابتعدوا عن طريق الحق والدين ، يا رب أنقذ أمتي التي وقعت مثل طفل بين مخالب طائر كاسر يريد أن يفتك به . إن هذه المعجزة لن يقدر عليها غيرك (صمت قصير) .

يا رب . . . لقد أديت إليك صلاتي ولم أتوان عنها أبداً ، وإني لن أجرؤ على أن أقول وأجزم على أن كل صلواتي مقبولة إلا برحمة منك ، وفضلك علي ، . . . اللهم اغفر لي وارحمني وتب علي (صمت قصير) . اللهم تقبل مني دعائي وصلاتي وتسبيحي بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . (صمت قصير) اللهم سبحانك يا عظيم بجاه

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم شفيعنا عندك . . . أنقذ أمتي ولا تخيّب رجائي . . أنقذ أمتي من الهلاك ، وأهلك يا رب هؤلاء الذين يرغبون في ضياع أمتي . . .
اللهم بدد جمعهم ، وشتت شملهم ،
(صمت قصير) .
يا رب ليس لي حيلة ولا قوة ، لن أستطيع إنقاذ أمتي ، اللهم اقبضني إليك . . . حتى لا أرى تدهور أمتي في الهاوية ، حتى لا أرى ما آلت إليه أمتي من الضياع والتشرد . . .
(صمت قصير) اللهم لم يعد بي قوة للوقوف . . . متى ينتهي أجلي يا رب .

(يدخل المرافق من الطرف الآخر مسرعاً ، يتقدم من السلطان عبد الحميد الذي لا زال في دعائه ، المرافق يقف صامتاً ، عبد الحميد ينظر إليه » .

المرافق : سيدي لقد وصل الطبيب ، وهو بانتظاركم !

السلطان عبد الحميد : احملوني !

يركض المرافق نحوه ، بأدب واحترام يساعد عبد الحميد كي يقف . يرفع السلطان عبد الحميد سجادة الصلاة وهو قائم .

السلطان عبد الحميد : (وهو يمد بالسجادة للمرافق) ضع السجادة مكانها لا أدري هل تتسنّى لي صلاة أخرى ؟ . . .

(يتناول المرافق السجادة) .

المرافق : (وهو يطوي السجادة) مزيداً من السنين بعد يا سيدي بإذن الله ؟ . . .

السلطان عبد الحميد : آه . . تريدون مني أن أحمل المصاعب والمشاق سنين أخرى .

المرافق : العفو والسماح يا مولاي .

السلطان عبد الحميد : من يدري ؟ عندما تتعثر عنزة في جبل ما ، ويقتل جندي من جنود الاسلام أو تسقط ثمرة من غصنها ، وتسقط ورقة قمار في يد مقامر . . عندها تنتهي حياة عبد الحميد .

المرافق : لا قدر الله يا مولاي ، إن الطبيب ينتظر من أجل علاجكم ؟ . . .

السلطان عبد الحميد : (بحزن شديد) لنذهب ، أمسكوا بيدي ، قد أقع على الأرض إنه ليس بطبيب ، بل هو مخبر ، جاء ليخبرنا متى ينتهي الأجل « يمسك المرافق بيد عبد الحميد ليساعده على الوقوف والمشي » .

عبد الحميد : الله هو الطبيب ، لأن المرض ابتلاء ولا شافي إلا الله .

« يمسك المرافق بيد عبد الحميد يسير به حتى وسط المسرح ، عبد الحميد يلتفت نحو الخلف ، نصف التفاتة ، يرى وهو مكدود متعب) .

السلطان عبد الحميد : الله . . . الله . . . دواء كل داء هو الله ، الدواء منك يا الله . (يقف عبد الحميد عند لحظة خروجه) .

السلطان عبد الحميد : قل لي كلمة واحدة .

المرافق : وما هذه الكلمة ، يا سيدي ؟ . . .

السلطان عبد الحميد : الكلمة التي تجمع تحت رايتها كل المعاني ، والتي تشمل كل الوجود ، كلمة يذوب تحت وهجها كل شيء .

ينظر المرافق ساكتاً شارداً لم يفهم أي شيء .

السلطان عبد الحميد : ببطء شديد . . . وجهد كبير ، سأقول . . . الله . . . الله . . . الله . . .

السـتار

تعريف موجز بالمفكر والأديب والشاعر التركي المسلم الأستاذ نجيب فاضل قيصة كورك .

- ولد في استانبول عام ١٩٠٣م ينحدر أصله من ولاية مرعش في الجنوب التركي وهو من ينتمي إلى عائلة « قيصة كورك » .

- دخل المدرسة البحرية العسكرية في استانبول ثم أرسل في بعثة دراسية لدراسة الفلسفة في (السوربون) بفرنسا . وفي السنة الأخيرة من دراسته ألغى دراسته واستُدعيَ إلى استانبول .

- خدم في الجيش التركـي برتبة ضابط ثم سرح من الجيش واستدعي عدة مرات كضابط احتياط .

- درّس في جامعتي أنقرة واستانبول كلية الآداب .

- نظم أولى قصائده الشعرية وهو في السابعة عشرة من عمره بعنوان (الأرصفة) .

- تتلمذ على يد الشيخ عبد الحكيم الأوراسي شيـخ الطريقة النقشبنـدية في تركيا .

- كما تأثر بالشعراء حسان بن ثابت الأنصاري ولبيد بن أبي ربيعة . وزهير بن أبي سلمى ، والشاعر التركي المشهور عبد الحق حامد .

- كتب في معظم الصحف التركية .

- له مؤلفات كثيرة في الفكر والأدب والشعر له ديـوان شعر بعنوان (المحنة) .

- في عام ١٩٤٠ أصدر مجلة (الشجرة) ما لبثت أن أغلقت

المجلة في عام ١٩٤٥، في نفس العام أصدر مجلة (الشرق الكبير) وهي مجلة دينية أدبية فكرية .

ـ أغلقت مجلته (الشرق الكبير) مرات عديدة واعتقل وسجن كثيراً ، حتى أن محيط المعارف الفرنسيـة وصفه (بالشاعر الذي عدد أيام سجنه أكثر من أيام دراسته) .

ـ في عام (١٩٦٥) بدأ بالجولات التي شملت جميع أنحاء تركيا وألقى محاضرات في كل مدينة أو قرية زارها وكانت محاضراته تؤجج الشعور الإسلامي للشباب التركي ويعود له الفضل الكبير في النهضة الإسلامية الحديثة في تركيا .

ـ في ٢٥ أيار ١٩٦٧ انتخب ومُنح لقب (سلطان الشعراء) من قبل جمعية العلوم والآداب التركية .

ـ وصف بأنه الأب الروحي للشباب التركي المسلم ، لما له من تأثير قوي في الشباب التركي .

ـ مشهور بمواقفه الجريئة تجاه كبار رجال الدولة في تركيا .

ـ له ما يقارب من مائة كتاب . في مواضيـع الفكـر والأدب والشعر .

ـ له أكثر من عشرين كتاب مخطوط سينشر بعد وفاته .

ـ زار فرنسا ـ المانيا ـ العراق ـ والسعودية .

ـ توفي في ٢٥ أيـار ١٩٨٣م ، ودفن في مقبرة أبو أيـوب الأنصاري باستانبول . اشترك في تشييـع جنازته أكثر من / ٢٠٠ / ألف شخص . واشترك في تشييع جنازته كبار المفكرين ورجال الدولة في تركيا .